The Role of Al-Ameed Family in The Buyid Era

Dr. Sami Merhi*
Nagham Sulaiten*

(Received 22 / 10 / 2022. Accepted 14 / 12 / 2022)

□ ABSTRACT □

The Buyid era is considered one of the distinguished eras in the Abbasid history. It spanned between the years 334-447 AH / 946-1055 AD. It was distinguished by a large number of brilliant literary and poetry who enriched the intellectual life with their valuable works. Families also emerged that combined the acquisition of science and political work, and from The most prominent of them is the Al-Ameed family, which was one of the most important families in which the strength of the ministry and the ingenuity of the administration met, in addition to the knowledge of philosophy. Greece and its culture, and its ideal is the book Utopia, so he strived to reach it at any cost, whether through direct political practice, education or through philosophical reflection on the events, experiences and sermons of history. In ruling, he succeeded in instilling his virtues with his son Abu Al-Fath, who inherited from his father a lot of scientific and political ingenuity, and this family was an example to be followed at that stage.

Keywords: Ibn al-Ameed - Abu al-Fath

* **Associate Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University , Lattakia, Syria**
** **Master's Student – Postgraduate Studies Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University , Lattakia, Syria**

دور آل العميد في العصر البويهي

د. سامي مرعي*

نغم سليطين**

(تاريخ الإيداع 22 / 10 / 2022. قبل للنشر في 14 / 12 / 2022)

□ ملخّص □

يعد العصر البويهي من العصور المتميزة في التاريخ العباسي، فقد امتد ما بين سنتي 334–447هـ/946–1055م، وتميز بعدد كبير من نوابغ الأدب والشعر ممن أثروا الحياة الفكرية بمؤلفاتهم القيمة، كما برزت أسر جمعت بين تحصيل العلوم والعمل السياسي، ومن أبرزها أسرة آل العميد، التي كانت أحد أهم الأسر التي اجتمعت فيها قوة الوزارة، وبراعة الإدارة، إضافة إلى الإلمام بالفلسفة، فكان أفراد هذه الأسرة وزراء، ومعلمين، وأدباء، وقادةً عسكريين، وبرعوا في علوم شتى، وكان على رأسهم ابن العميد الذي شغف بعلوم اليونان وثقافتها، ومثاله الأعلى كتاب المدينة الفاضلة، فسعى جاهداً للوصول إليها بأي ثمن سواء عن طريق الممارسة السياسية المباشرة، والتعليم أو عن طريق التأمل الفلسفي في أحداث التاريخ وتجاربه وعظاته، فنجح في أن يصبح منظّراً أخلاقياً في دولة بني بويه، وأن يصل إلى أعلى الدرجات الوظيفية في الحكم، وقد نجح في زرع فضائله بابنه أبي الفتح الذي ورث عن أبيه الكثير من البراعة العلمية والسياسية، فكانت هذه الأسرة مثالاً يُحتذى به في تلك المرحلة.

الكلمات المفتاحية: العصر البويهي– ابن العميد – أبو الفتح ابن العميد.

* **أستاذ مساعد – قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين– اللاذقية**

** **طالبة ماجستير– قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين– اللاذقية**

مقدمة:

لم يحظ العصر البويهي بنصيب وافرٍ من كتابات المؤرخين، شأنه شأن غيره من موضوعات العصر العباسي الثاني، لذلك فالكتابة عن الدولة البويهية شاقة ومجهدة، بسبب تشعب الأحداث، وتعدد الحكام، وتداخل حكمهم، فقد سيطر بنو بويه على بلاد فارس[1]، وتقدموا نحو العراق، ودخلوه في زمن الخليفة المستكفي[2](333-334هـ/ 944-945م)، ثم أصبحوا قوة لا يستهان بها، ووصلت تلك القوة حتى إنهم حولوا سلطة الخلفاء العباسيين إلى سلطة اسمية. ولكن رغم هذه التطورات السياسية السريعة إلا أن ذلك العصر شهد نهضة فكرية وأدبية كبيرة، إذ نبغت فيه شخصيات عديدةً وأسرٌ علمية بارزة، تركت أثراً كبيراً في الحياة السياسية والفكرية، كان منها أسرة آل العميد التي سوف يتم تناولها في هذا البحث.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بآل العميد والدور الهام لهذه الأسرة في عصر حكم الأمراء البويهيين، وبشكل خاص دور أبي الفضل ابن العميد الذي شغل مناصب، ومراتب إدارية وعسكرية، وعلمية مهمة في الدولة، وذلك من خلال الحديث عن معارفه وعلومه الغزيرة وعن الدور الذي أداه ابن العميد وولده أبي الفتح في خدمة الدولة البويهية.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والدراسات التاريخية والأدبية، وكذلك المراجع الحديثة ومن ثم تحليلها ونقدها من أجل الوصول إلى الحقيقة المتعلقة بموضوع البحث مع الالتزام بجميع قواعد منهجية البحث التاريخي من حيث دقة اللغة، وحسن التعبير وسهولة الأسلوب.

النتائج والمناقشة:

ثانياً- آل العميد ونسبهم:

تعود شهرة هذه الأسرة إلى أبي الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد، والعميد هو لقب والده [3]، وينحدر من أسرة فارسية من مدينة قم[4]، شيعي على المذهب الإمامي، ولد محمد في سنة300هـ/918م[5]، حيث قام العميد بتنشئة ولده على الأخلاق الحميدة وجمع العلوم، وقد لقب محمد فيما بعد بابن العميد[6]، ونتيجة لعلومه ومداركه الواسعة

---

[1]- فارس: ولاية واسعة، أول حدودها من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان وقصبتها شيراز؛ انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر. بيروت، 1977م، (ج٤)، ص٢٢٦.

[2]- المستكفي: هو أبو القاسم عبد الله بن المكتفي علي بن المعتضد، بويع بالخلافة بعد خلع المتقي لله من سنة 333هـ/ 944م، عزل من منصبه عام 334هـ/945م، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر، وبويع بعده الفضل بن المقتدر بالخلافة. انظر: السيوطي، عبد الرحمن (ت: 911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص314-315.

[3]- لقب بالعميد على عادة أهل خراسان في تعظيم الأشخاص، حيث كان فيه فضل وأدب. انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1977م، (مج5)، ص10.

[4]- قم: مدينة مستحدثة إسلامية، قيل قم، ليس عليها سور، أهلها كلهم شيعة إمامية؛ انظر: الحموي: معجم البلدان، (ج1)، ص٣٩٧.

[5]- العلي، فيصل حسين طحيمر: فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، نابلس، فلسطين، 2001م، ص122.

[6]- العلي: فن الترسل، ص123.

فقد تم تعيينه وزيراً لركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي[7]، وتولى وزارته في سنة 328هـ/946م[8]، ويعد أشهر وزراء بني بويه[9]، وهناك أقوال متضاربة حول مدة وزارته، فقد ذكر مسكويه بأنها كانت اثنتان وثلاثون سنة[10]، أما ابن الأثير فقد ذكر أنها كانت أربعة وعشرين سنة.[11]

أما ولده أبو الفتح علي بن محمد، فقد ولد في الري[12] بعد تولي والده الوزارة لدى ركن الدولة بتسع سنوات وذلك في سنة ٣٣٧هـ[13]، كان أديباً فاضلاً، كثير المحاسن، ميالاً للمرح وحب المظاهر، مجالساً أدباء عصره[14]، ولقبه الخليفة الطائع لله بذي الكفايتين لكفايته في السيف والقلم[15]، خلف أباه في وزارة ركن الدولة البويهي بالري ونواحيها سنة 360هـ/971م، وعمره 23سنة، واستمر إلى أيام مؤيد الدولة بن ركن الدولة، وأحبته القواد وعساكر الديلم، لكرمه وطيب أخلاقه، فخاف آل بويه العاقبة، فقبض عليه مؤيد الدولة وعذبه ثم قتله في سنة٣٦٦هـ/٩٧٧م[16]، وكانت وزارته ست سنوات، وقد عرف عن أبي الفتح قبل توليه الوزارة ميله للهو، وقد اتبعه عساكره ومالوا معه إلى اللعب والصيد والأكل والشرب، وكان يمنحهم الخلع والألطاف، فعندما علم والده بالأمر، لم يخرق هيبة نفسه بإظهار ما في قلبه، ولا أن يبالغ في الإنكار فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه، فدارى أمره وتجرع غيظه، فكان يقول في مجلس خلواته: "ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الأرض إلّا هذا الصبي (ويعني ابنه)"، وبموته انتهت أسرة آل العميد[17]، ولم يعد لها أي ذكر في التاريخ.

---

[7]– ركن الدولة: أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو، ولد في سنة ٢٨٤هـ/ 902م، ولقب ركن الدولة، صاحب أصفهان والري وهمذان، وهو والد عضد الدولة، توفي بالري سنة ٣٦٦هـ/984م، تولى الحكم بعده ولده مؤيد الدولة. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (مج٢)، ص١١٨-١١٩.

[8]– ابن خلكان: المصدر نفسه، (مج5)، ص10.

[9]– علي، وفاء محمد: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، د.ط، 1991م، ص91.

[10]– مسكويه، أحمد بن محمد (ت421هـ/1030م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، 1968م، (ج5)، ص373.

[11]– ابن الأثير، علي بن محمد (630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، (ج7)، ص320.

[12]– الري: مدينة تقع في الطرف الشمالي الشرقي من اقليم الجبال، دمرت على يد المغول في القرن ٧هـ/13م، كي، لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية : تر، بشير فرنسيس، كوركيس عواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٤م، (ج1)، ص٢٤٩-٢٥١.

[13]– مردم بيك، خليل: ابن العميد، مكتبة عرفة، دمشق، 1931م، ص124.

[14]– التوحيدي، علي بن محمد (ت: 400هـ/1009م): أخلاق الوزيرين، تح: محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت، 1991م، ص23. والزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986م، (ج4)، ص325.

[15]– الثعالبي، عبد الملك النيسابوري (429هـ/1037م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، (ج3)، ص215.

[16]– الزركلي: الأعلام، (ج4)، ص325.

[17]– مسكويه: تجارب الأمم، ج5، ص373.

ثالثاً: الدور السياسي لأسرة آل العميد في عصر بني بويه:

1- ظهور أسرة بني بويه: يرجع نسب البويهيين إلى أبيهم أبي شجاع بويه بن فناخسرو[18]، وهو من سكان بلاد الديلم[19]، الذين كانوا من سكان المنطقة الجنوبية الغربية من بحر الخزر[20]، وكان لديه ثلاثة أبناء، وهم: علي والحسن وأحمد الذين عملوا جنوداً مرتزقة في خدمة ماكان بن كالي[21] ثم انتقلوا لخدمة مرداويج بن زيار[22] بعد هزيمة ماكان أمامه، وخاضوا العديد من الحروب، ونالوا إعجاب مرداويج، فأقطع أخوهم علي بن بويه الكرج[23] ولاية له[24]، وفي أثناء مسيره إلى الكرج عند الري، عرض علي بن بويه بغلة له للبيع، وكان ثمنها مائتي دينار فعرضت على العميد فأخذها ودفع ثمنها، فلما حمل الثمن إلى علي أخذ منه عشر دنانير، وردَّ الباقي ومعه هدية جميلة.[25]

تابع علي بن بويه السير نحو الكرج وهو في طريقه إليها، أرسل مرداويج بن زيار إلى أخيه وشمكير بن زيار يطلب منه إرجاع الأعمال التي قلد بها علي، وكانت هذه الرسائل تصل إلى وزيره أبي عبد الله الحسين بن محمد الملقب العميد أولاً قبل وشمكير، فأرسل العميد إلى علي بن بويه بالإسراع إلى ولايته، قبل أن يطلع وشمكير على الرسائل،

---

[18]- أبو شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر، كان رجلاً فقيراً، يمارس حرفة صيد السمك والاحتطاب، ماتت زوجته وتركت له ثلاثة أولاد، هم علي والحسن، وأحمد، عملوا في الجندية مع جيش ماكان بن كالي ثم انتقلوا إلى صفوف مرداويج لكسب لقمة العيش. انظر: ابن طباطبا، محمد بن علي (ت:709هـ/1309م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص277. وابن الأثير: الكامل، (ج7)، ص5-6. شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسي الأول)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (ج3)، ط8، 1985م، ص409.

[19]- بلاد الديلم: هي المنطقة الممتدة إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين وحدودها من ناحية الشمال بحر الخزر، ومن الشرق الري وطبرستان ومن الغرب أذربيجان، وتقسم البلاد إلى سهل وجبل، أما السهل فيطلق على المجرى الأسفل لنهر سفيدروذ ويصب في بحر الخزر، وسكانها من الجيل موجودون على شط البحر تحت جبال الديلم، أما الجبل، فهو يقع إلى الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر، بين نهري سفيدروذ ونهر شالوس، وهي جبال منيعة تمتاز بخصوبة تربتها، ويسكنها الديلم، انظر: ابن حوقل ، أبو القاسم(ت:367هـ/977م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٢٩. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٠٧.

[20]- بحر الخزر: هو بحر طبرستان وجرجان والخراساني والجبلي، وهو بحر عظيم لا اتصال له مع غيره، يحده من الشرق بعض بلاد الديلم وطبرستان وجبل جرجان، ومن الغرب جبال القبق وبلاد الخزر وبعض مفازة الغزية، ومن الشمال مفازة الغزية، ومن جنوبه الجيل وبعض الديلم، وهو بحر مالح، لا مد فيه ولا جزر، وهو بحر مظلم وقاعه من الطين. انظر: الحموي: معجم البلدان، (ج1)، ص407.

[21]- ماكان بن كالي وهو أحد قادة الديلم، وملك دولة طبرستان الزيدية، وكان أولاد بويه أبي شجاع (علي والحسن وأحمد) جنوداً في جيشه، ثم أصبحوا قادة فيه لحنكتهم العسكرية، وجرت بينه وبين مرداويج بن زيار مواجهات عدة، وحلت الهزيمة بقوات ماكان أمام قوات مرداويج؛ انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/1406م): تاريخ ابن خلدون، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، (ج3)، ص474-477.

[22]- مرداويج بن زيار: ملك الديلم، حكم مدائن الجبل، نجح بالاستيلاء على مساحات واسعة من إيران، وتمكن من تأسيس الدولة الزيارية (316-470هـ/928-1077م)، وفي سنة ٣٢٣هـ/٩٤٠م هجمت الترك عليه داخل الحمام وقتلوه، وتولى الحكم بعده أخوه وشكمير؛ انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت:748هـ /1347م): سير أعلام النبلاء، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، د.ط، د.ت، (ج٨)، ص٣٨١٠. الحموي: معجم البلدان، (ج3)، ص٤٥٢.

[23]- الكرج: مدينة فارسية تقع بين همذان وأصفهان إلى الجنوب الشرقي من همذان على بعد نحو ثلاثين فرسخاً أبنيتها أبنية الملوك قصور واسعة متفرقة؛ انظر: الحموي: معجم البلدان، (ج4)، ص506.

[24]- ابن الأثير: الكامل، (ج7)، ص٨٨-٨٩. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج4)، ص٥٦٤.

[25]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص٨٨-٨٩. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج4)، ص٥٦٤. والخضري، محمد بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار القلم، بيروت، ط1، 1986م، ص٤١٧.

فاستعجل علي إلى الكرج، وفاز بالولاية عليها، وبذلك ردَّ العميد لعلي بن بويه موقف البغلة، فكان هذا الموقف هو بداية العلاقة الجيدة بين آل العميد وآل بويه، وفي الصباح الباكر عندما علم وشمكير برسالة أخيه مرداويج طلب من العميد الإرسال خلف علي بن بويه للعودة، لكن العميد حذره ألا يفعل ذلك خشية أن يخرج عن طاعتهم.[26]

ثم عظم أمر الأخوة الثلاثة، فملكوا بلاد فارس، ووجهوا أصغرهم، وهو أحمد إلى الاستيلاء على بغداد، فدخلها سنة 334هـ/946م والخليفة يومئذ المستكفي بالله، فقابله الخليفة، واحتفى به ولقبه بمعز الدولة، كما لقب أخويه علياً بعماد الدولة، والحسن بركن الدولة[27]، وهذا الآخر استوزر ابن العميد فيما بعد، واستقر الأمر بين هؤلاء الأخوة على أن يكون عماد الدولة صاحب بلاد فارس والأهواز، وركن الدولة صاحب بلاد الري والجبل، ومعز الدولة في العراق، ومنذ ذلك الحين سقط سلطان الخلفاء العباسيين، وصاروا تحت سيطرة بني بويه، ليس لهم إلا الاسم.[28]

وكان لبني بويه أياد بيضاء على العلم والأدب؛ فقد كانوا يجلون أهل الفضل، ولا يعتمدون في أعمالهم إلا عليهم، ولذلك اختاروا وزراءهم من أعيان الأدباء، كابن العميد وابنه أبي الفتح من بعده، والصاحب بن عباد(326-385هـ/ 937-995م)[29]، وأبي محمد الحسن بن محمد المهلبي[30]، وسابور بن أردشير[31] الذي أنشأ في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على إفادة الناس، لم يكن في الدنيا مثلها، وقد وصف ياقوت الحموي تلك الخزانة بقوله: "كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت

---

[26]- الخضري: الدولة العباسية، ص٤١٧. مردم بيك: ابن العميد، ص١٦.

[27]- ابن كثير، اسماعيل بن عمر(774هـ/1372م): البداية والنهاية، تح: جوده محمد جوده ومحمد حسين شعراني، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط١، 2006م، (ج١١)، ص١٥٤. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج4)، ص٥٦٣.

[28]- مردم بيك: ابن العميد، ص16.

[29]- الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني، عرف بعلو مكانته في العلم والأدب، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له صاحب بن العميد، ثم أطلق هذا اللقب عليه لمّا تولى الوزارة وبقي علمَاً له، وقيل إنه لقب بالصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا، كان أول وزير لمؤيد الدولة، له العديد من المؤلفات: المحيط في اللغة، وكتاب الأعياد، وفضائل النيروز، وكتاب الإمامة. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد (ت:748هـ/1374م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، (مج8)، ص569-574. وأرسلان، شكيب: المختار من رسائل أبي اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ، الدار التقدمية، الشوف، ط1، 2010م، ص45.

[30]- الحسن بن محمد المهلبي بدأ حياته كاتباً لمُعز الدولة في بغداد، ثم تولى الوزارة عام 339هـ/ 950م، وبقي في الوزارة ثلاثة عشرة سنة، حتى وفاته سنة 352هـ/ 963م. انظر: مسكويه: تجارب الأمم، (ج5)، ص335-336. والزهراني، محمد مسفر: نظام الوزارة في الدولة العباسية (العهدان البويهي والسلجوقي 334-590هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م، ص78.

[31]- سابور بن أزدشير: ولد بشيراز سنة 336هـ/947هـ، استنابه الوزير محمد بن الحسن وزير شرف الدولة، فنظر في الأعمال التي كلف بها، تولى مهام الوزارة مكان محمد، بقي في منصبه 11شهر، فقبض عليه381هـ/991م، لكنه ما لبث أن أطلق سراحه، فهرب إلى البطيحة، ثم عاد إلى الوزارة، هرب إلى البطيحة ثانية سنة 384هـ/994، ثم عاد إلى الوزارة 386هـ/ 996م، وبقي حوالي 4أشهر لكنه هرب، وبقي على هذه الحال حتى اعتقل ونفي إلى بلاد فارس، توفي في عام 416هـ/1025م. انظر: الصفدي، خليل بن ايبك (ت:764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، (ج15)، 45-47.

كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة، واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية (385-455هـ/ 995-1063م)[32]، إلى بغداد سنة 447هـ/1055م". [33]

2- دور ابن العميد في خدمة آل بويه :لم يكن ابن العميد من الوزراء الذين يأمرون وينهون، وهم متربعون في دست وزارتهم، بل كان مع علو مكانته في السياسة والتدبير يباشر الحروب، ويقود الجنود بنفسه بشجاعة وبأس، قال مسكويه: "فإذا حضر المعارك وباشر الحروب فإنّما هو أسد في الشجاعة لا يصطلى بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع ثبات جأش وحضور رأى وعلم بمواضع الفرص وبصر بسياسة العساكر والجيوش ومعرفة بمكايد الحروب".[34]

خاض الوزير ابن العميد، العديد من الحروب والوقائع للدفاع عن البويهيين وحكمهم في الري، ومن أبرزها حربه مع ابن ماكان في سنة344هـ/955م الذي استولى على أصفهان، فاضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة للهروب إلى خان لنجان[35] مستسلماً أمام ابن ماكان، وفي أثناء ذلك توجه ابن العميد ومعه عدد قليل من العرب والديلم إلى الخان، وسار ابن ماكان إلى الخان خلف أبي منصور بن بويه، وعندما التقوا هرب أصحابه عنه، وانشغل أصحاب ابن ماكان بالنهب[36]، وعن هذه اللحظة يذكر ابن العميد ما جرى في تلك الوقعة وما كان يردده دائماً عنها فيقول: "وقفت وقوف المستسلم للقتل والأسر، وذلك أنّي فكرت في تلك الحالة، وقلت: إن انصرفت بنفسي سالماً ومثلت بين يدي صاحبي أي وجه يكون لي عنده وأي لسان يدور بعذر لي بحضرته، بعد أن أسلمت أعزّته وأولاده وحرمه وبالجملة ملكه! ونظرت فإذا القتل عليّ في حالتي تلك أهون من هذه الحال التي تصوّرتها، فصرت لأن أقتل كريما. فسكنت واقفاً وراء خيمة لي بعمودين وأنا أرى أطنابها تقطع وما فيها يخرج ومن يراني لا يظنّ أنّى أثبت في ذلك الموضع، فبينما أنا كذلك وأصحاب ابن ماكان مشغولون عنّى بالنهب، إذ ثاب إليّ غلامي روين وفلان وفلان وراءهم العرب، فثاب منهم جماعة يسيرة، فحملت بهم وصاح الناس: «الكرّة» فقتلنا وأسرنا ولم يفلت أحد، ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ماكان عين تطرف إلّا من أخذ أسيراً، وحمل إليّ ابن ماكان وبه ضربة في يده وقد تعلّق منها إصبعان بجلدة رقيقة، فمدّها حتى قطعهما". [37]

ولمّا كانت سنة 355هـ/965م، واجه الحكم البويهي في الري ثورة الجنود الخراسانية، فكان لابن العميد البلاء الحسن في التصدي لها والقضاء عليها، وتعود تلك الثورة إلى خروج نحو عشرين ألفاً من خراسان إلى الري، لم يكن لهم رئيس واحد، بل كان لأهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم، فقلق ابن العميد حيال ذلك، فأشار على ركن الدولة ألا يأذن لهم في دخولهم جميعاً، وأن يراسلهم في أن تصير منهم عدة في نحو ألفي رجل إلى الري، فإذا خرجت هذه العدة، ورد

---

[32]- هو ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق، كان شجاعاً حليماً كريماً، لا يهتك محرماً سديد الأقوال، كثير الصدقات تمت له السلطنة في سنة 429هـ/1033م، وكانت مدة سلطته ما يقارب 25سنة، قام فيها بالعديد من الحروب والمعارك في آسيا الوسطى، اكتملت في سيطرته على بغداد، توفي سنة 455هـ/1063م وعمره سبعين سنة. انظر: الحسيني، علي بن ناصر بن علي (ت:622هـ/1225م): أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، نشريات كلية بنجاب، لاهور، د.ط، 1933م، ص22-23.

[33]- الحموي: معجم البلدان، (ج1)، ص534.

[34]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص319.

[35]- موضع بفارس، وقيل موضع بأصفهان، وهي مدينة حسنة ذات سوق وعمارة خرج منها طائفة من العلماء، بينها وبين أصفهان يومان، بها قلعة قديمة حصينة، ملكها الباطنية، وخربت سنة 570هـ/ 1174م. انظر: الحموي: معجم البلدان، (ج3)، ص390.

[36]- ابن الأثير: الكامل، (ج7)، ص٢٥٣. مردم بيك: ابن العميد، ص٣٣-٣٥.

[37]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص319.

مثلها، حتى يتتابعوا على ذلك، ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب، فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه قائلاً: "ولا يتحدث الملوك إني احترزت من لفيف خراسان وخشيت ثايرتهم"[38]، فطلب ابن العميد منه أن يجمع عسكره المتفرقين عنه في أعمالهم في أصبهان والري والجبل وغيرها، وطالبه بالتريث لأن معه عدد قليل من العدة والرجال، وأنه لا يعرف نوايا القوم، وأنهم قد يكونوا على تواطئ مع حاكم خراسان، وأن قوات البويهيين غير مستعدة لمواجهتهم، لكن ركن الدولة رفض ذلك، وثبت رأي ابن العميد وخوفه من نواياهم، عندما طلب الخراسانيون خراج البلاد وجيشاً يخرج معهم، وقيامهم بالفتن ومحاربة الديلم، فهاجموا المدينة، ودخلوها من ناحية يوجد فيها منزل ابن العميد الذي خرج للقائهم، لكن كثرة عددهم جعلتهم يدخلون منزله ويقومون بنهبه، وجرح ابن العميد في الموقعة، ومع تمادي الخراسانيين في اعتدائهم على الناس، عمل ابن العميد على جمع الحرم والأطفال إلى طريق أصفهان، لينتظروا ما تؤول إليه الحرب، وهم على ظهور الدواب للتوجه إلى حيث شاؤوا، وجمع ركن الدولة قواته للخروج لمحاربتهم، لكن أعداد البويهيين كانت قليلة فهزموا، ولكن مع حلول الليل وعدم اللحاق به، ساعده في استخدام الحيلة من خلال إثارة الغبار في الجو، فظن الخراسانيون أن المداد وصل لركن الدولة فخافوا وهربوا.[39]

ومن الأحداث التي جرت خلال وزارة ابن العميد ثورة حسنويه بن الحسين الكردي[40] في سنة 359هـ/966م، الذي قوي أمره واستفحل، ونجح في السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي، وتحقيق الانتصار على جيش البويهيين[41]، ولما وصل الخبر لركن الدولة لم يحتمل ذلك كله، فأرسل وزيره ابن العميد وولده أبا الفتح إلى همذان[42]، بقصد استئصال شأفته والقضاء عليه، فلما وصلها ابن العميد مرض، واشتدت علته وتوفي بها ليلة الخميس السادس من صفر سنة 360هـ/967م[43]. وبعد وفاة ابن العميد تولى ابنه أبو الفتح مكانه، الذي راسل حسنويه الكردي فأرغبه، وأرهبه، وحضّه على الطاعة، فصالحه على مال يحمله لأبي الفتح، وبالمقابل يضمن إصلاح حال حسنويه مع ركن الدولة، ثم عاد أبو الفتح إلى ركن الدولة في الري لخدمته بصفته وزيراً له.[44]

3- دور أبي الفتح في خدمة آل بويه: على الرغم من النصائح الكثيرة التي نصح بها أبو الفضل بن العميد ولده أبا الفتح بعدم استمالة الديلم إلا أنه لم يصغ لوالده[45]، فعندما شغب الأتراك في بغداد على عز الدولة بختيار

---

[38]- ابن الأثير، الكامل، (ج7)، ص294. وابن كثير: البداية والنهاية، (ج١١)، ص٩٢-٩٢.

[39]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص٣٤٥-٣٤٦. وابن كثير: البداية والنهاية، (ج١١)، ص٩٢-٩٢.

[40]- حسنويه الكردي بن حسن البزريكاني، كان أميراً على طائفة من الأكراد، يسمونها الذولنية، سيطر على أطراف الدينور وهمذان ونهاوند وبعض أطراف أذربيجان إلى حد شهرزور، واستطاع أن يؤلف إمارة بني حسنويه (350-406هـ/960-1015م)، توفي في سنة 369هـ/981م. انظر: ابن خلدون: مقدمة، (ج4)، ص603.

[41]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص٣٧٢-٣٧٣. وابن خلدون: مقدمة، (ج4)، ص٥٩٠-٥٩١. وابن الأثير: الكامل، (ج7)، ص٣١٩.

[42]- همذان: هو مركز إقليم الجبال، حسن قديم، بارد الماء، كثير العيون، أسواقها ثلاثة صفوف، والمدينة وسط البلد، بناؤهم طين، غادرها أهلها وقل العلماء بها، وأذهبت الري دولتهم وهي بقرب الجبل. انظر: المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشارى (ت380هـ/990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص392.

[43]- مردم بيك: ابن العميد، ص29.

[44]- الصفدي: الوافي بالوفيات، (ج21)، ص٢٨٢.

[45]- الدوري، عبد العزيز: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة، بغداد، 1945م، ص277. وأركون، محمد: نزعة الأنسنة في الفكر العربي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص166.

(356-367هـ/967-978م)[46]، فأرسل إلى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة (367-372هـ/978-983م)[47] لمساعدته، فأمر أبا الفتح بالمضي في جيش كثيف من الري إلى شيراز والمسير في صحبة ولده عضد الدولة لانجاد عز الدولة بختيار، فسارا إلى بغداد، وأعادا الأحوال إلى ما كانت عليه، فطمع عضد الدولة بملك بغداد، مما أثار امتعاض أبيه ركن الدولة الذي أمره بالخروج منها، لكن عضد الدولة قام بحبس بختيار متهماً له بإهمال تدبير الملك وانشغاله باللهو، فأرسل المرزبان بن بختيار إلى عمه ركن الدولة يخبره عن سجن والده من قبل عضد الدولة[48]، وكان ركن الدولة شديد المحبة لأخيه معز الدولة، فغضب وعزم على إرسال جيشاً لمحاربة ابنه عضد الدولة في العراق، فتوسط أبو الفتح بينهما، فانسحب عضد الدولة من بغداد على أن يكون بختيار نائباً له في بغداد.[49]

ولم يمض وقت طويل حتى توفي ركن الدولة في سنة366هـ/977م، فسار ابنه عضد الدولة إلى العراق واستولى عليها وقتل بختيار. أما مصير أبي الفتح، فقد اتفق عضد الدولة مع أخيه مؤيد الدولة على القاء القبض عليه، وكان أبو الفتح قد بقى مع بختيار عند دخول عضد الدولة إلى بغداد في المرة الأولى، إذ كان يجالسه في اللهو والسهر، ويمدحه كثيراً، فمنحه بختيار الأموال وبعض الخلع، وأقطعه بعض الأملاك، مما حمل عضد الدولة للحقد عليه، فقبض عليه في سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م، وطالبه بالأموال وعذبه وقيل سمل عينيه[50]، وحين أيقن أبو الفتح بأن القوم يطلبون دمه استأذن بالصلاة ودعا بدواة وقرطاس وكتب:

[46]- بعد وفاة معز الدولة خلفه في إمرة الأمراء ابنه بختيار عز الدولة الذي عرف عنه بالضعف والميل إلى اللهو، تجاهل الأمير الجديد نصيحة والده المتمثلة بضرورة مشاورة عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة في المشاكل السياسية التي تعترضه، ومال بختيار إلى حياة اللهو فشهد حكمه تنافس حاد بين قادة جيشه على الوزارة، ولما ولى أبو الفضل الوزارة كثر ظلمه وعسفه، فعزله بختيار وولّى مكانه محمد بن بقية فانتشر الظلم أكثر. انظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج3)، 528-529.

[47]- اسمه فناخسرو بن الحسن بن فناخسرو بن بويه، كان شديد الطاعة والولاء لأبيه ركن الدولة، وقد بلغت الدولة في عهده أوج قوتها فنجح في تثبيت حكمه، وتمكن من التخلص من جميع المنافسين له على السلطة، وأحكم سيطرته على العراق، وسعى إلى توثيق علاقته بالخليفة الطائع، فحصل على مكتسبات جديدة تمثلت بالتفويض الموسع بالسلطة، على كل الأقاليم التي تتبع الخلافة العباسية، وفي عام 367هـ/978م خلع الخليفة الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وعقد له لواءين، كما أمر الخليفة في عام 368هـ/979م أن تضرب الطبول على باب عضد الدولة، وأن يخطب له على منابر الحضرة. انظر: ابن طباطبا: الفخري، ص290. و والأتابكي، يوسف بن تغرى بردى (874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، د.ط، د.ت، (ج4)، ص132.

[48]- البيهقي، محمد بن الحسين (ت: 470هـ/1077م): تاريخ البيهقي، تر: يحيى الخشاب صادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، د.ط، ١٩٩٩م، ص408.

[49]- منيمنة، حسن: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (مقاطعة فارس 334-447هـ/ 945-1055م)، الدار الجامعية، بيروت، د.ط، 1987م، ص١٣٢.

[50]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص٤١٩-٤٢٠. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (ج4)، ص٥٩٩. وابن كثير: البداية والنهاية، (ج١١)، ص٢٢٢. والزركلي: الأعلام، (ج2)، ص325.

بدل مِنْ صورتي المنظر لكنّه ما غيرَ المخبـرْ
ولستُ ذا حزنٍ على فائتٍ لَكِنْ على من ليَ يستعبرْ
ووالهِ القلبِ لما مسني مستخبرٌ عني ولا يخبرْ
فَقُلْ لِمَنْ سرٌّ بما ساءَنْا لا بدَّ مِنْ أَنْ يسلُكَ ذا المعبرْ[51]

واستمر أبو الفتح في وزارته ست سنوات، غير أن وزارته لم تكن كوزارة والده أبي الفضل التي استمرت طويلاً، وقام خلالها بإنجازات وحروب كثيرة، وربما يعود ذلك إلى عدم أخذه بنصائح والده وانغماسه في اللهو، فكان ابن العميد ينهى ولده عن الاعتماد على الديلم لأنه لا يجوز ذلك قائلا:(لو كان ذلك مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق إليه) ولأن الديلم _حسب رأي ابن العميد_ يتصفون بالحسد والجشع وإن (من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمته والسعي على إزالتها...)
وانضمامه إلى صفوف بختيار ضد عضد الدولة، وتقريبه للديلم بدلاً من الأتراك سبباً بالفتك به من قبل عضد الدولة، وبمقتله اندثر بنو العميد، وفيهم يقول أحد الشعراء:

مررتُ على ديارِ بني العميدِ فألفيت السعادة في خمود
فقل للشامت الباغي رويداً فإنك لم تبشر بالخلـود[52]

رابعاً- الدور الفكري لأسرة آل العميد:
كان ابن العميد متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم والأدب، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، حيث سمي بالجاحظ الثاني[53]، أو الجاحظ الأخير[54]، وذلك لأنه يشبه الجاحظ عمرو بن بحر[55] في فنه ومقدرته الكتابية[56]، كان كامل الرياسة جليل المقدار، ومن أتباعه: الصاحب ابن عباد، ولأجل صحبته قيل له الصاحب، وكان له في الرسائل اليد البيضاء[57]، حتى إنه قيل: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد[58]. العميد" [59]

[51]- منيمنة، حسن: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (مقاطعة فارس 334-447هـ/ 945-1055م)، الدار الجامعية، بيروت، د.ط، 1987م، ص١٣٢.
[52]- منيمنة، حسن: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (مقاطعة فارس 334-447هـ/ 945-1055م)، الدار الجامعية، بيروت، د.ط، 1987م، ص١٣٢.
[53]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، (ج5)، ص104.
[54]- الثعالبي: يتيمة الدهر، (ج3)، ص 183.
[55]- هو عمرو بن بحر، كان إمام فذ من أئمة البيان في اللغة العربية، عاش في المرحلة الذهبية للدولة العربية، في عهد هارون الرشيد والمأمون، بلغ عدد مؤلفاته حوالي 360 مؤلف في شتى أنواع العلوم، وكان همه أن يبتكر ويخلق للناس بديعاً، وطرق الجاحظ في كتابته أبواباً عجيبة، تقرب إلى العامة، حيث حرص على استرضائهم، كما عمل على استمالة الخاصة في المعارف العالية والسياسات الرفيعة، ومن أبرز مؤلفاته: البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء. انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت:255هـ/868م): الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط2، د.ت، (ج1)، ص3-8.
[56]- العلي: فن الترسل، ص124.
[57]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، (ج5)، ص10.

تعلم على يديه وأخذ عنه عضد الدولة البويهي، لذا كان يخاطبه "الأستاذ الرئيس"، وقيل أن هذا اللقب يرجع إلى رئاسته وتقدمه على من سواه في عصره[60]، وكان سائساً مدبراً للملك قائماً بحقوقه، وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة، ومدحوه بأحسن المدائح، ومنهم أبو الطيب المتنبي(303-354هـ/915-965م) [61]حيث قال فيه:

منْ مُبلِغُ الأعرابِ أنّي بَعْدَها شاهَدتُ رِسطالِيسَ وَالإسكَندَرَا

وَسَمِعت بَطليوسَ دارِسَ كُتبِهِ مُتَمَلّكاً مُتَبَدّياً مُتَحَضّـرَا[62]

وقد ضرب بابن العميد المثل في البلاغة وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها مع براعة المعاني ونفاستها[63].، فقد كان ذكياً بعيد النظر حسن التدبير مغرماً باقتناء الكتب، شديد الحرص على مطالعتها، وكان أشبه بدائرة معارف يختزن من العلوم أكثر ما أحاط به مجتمعه، وقليل الكلام، نزر الحديث، حسن العشرة، طاهر الأخلاق، نزيه النفس، ويصون مجلسه عن الخوض في مسائل الخلاف في الدين، وما عدت عليه هفوة مع صديق، ومما قاله ابن العميد من عبارات وأشعار تنبئ عن تمكنه من اللغة العربية وسعة ثقافته، فانتشرت هذه الأقوال حتى غدت أمثالاً وحكماً، ومما قاله: "خير الكلام ما أغناك جده، وألهاك هزله"[64]، فقد كان بعيداً عن الهزل في الحياة وينفر من المزاح الماجن لأن أحوال المملكة في أيامه كانت تستدعي الحذر واليقظة، فمن كلامه قوله: "المزاح والهزل بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر"[65]، كما قال في الاحتراس والحيطة:

آخِ الرجالَ مَن الأبَا عِدِ والأقارِبُ لا تقارِبْ

إنَّ الأقاربَ كالعَقَارِبِ بلْ أضرُّ مِنَ العقارِبْ

---

[58]- هو عمرو بن بحر، كان إمام فذ من أئمة البيان في اللغة العربية، عاش في المرحلة الذهبية للدولة العربية، في عهد هارون الرشيد والمأمون، بلغ عدد مؤلفاته حوالي 360 مؤلف في شتى أنواع العلوم، وكان همه أن يبتكر ويخلق للناس بديعاً، وطرق الجاحظ في كتابته أبواباً عجيبة، تقرب إلى العامة، حيث حرص على استرضائهم، كما عمل على استمالة الخاصة في المعارف العالية والسياسات الرفيعة، ومن أبرز مؤلفاته: البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء. انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت:255هـ/868م): الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط2، د.ت، (ج1)، ص3-8.

[59]- ابن خلكان، المصدر نفسه، (ج5)، ص104.

[60]- العلي: فن الترسل، ص124.

[61]- المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي، كان شاعراً مفلقاً، يعد من أعظم شعراء العرب وأكثرهم تمكناً في اللغة العربية، اشتغل في فنون الأدب، دخل في خدمة سيف الدولة الحمداني في حلب، ثم غادره إلى كافور الإخشيدي في مصر، ثم قصد العراق وبلاد فارس، حيث مدح عضد الدولة البويهي، وسمي بالمتنبي لأنه ادعى النبوة، قتل يد فاتل الأسدي. العكبري، أبو البقاء(ت:616هـ/1219م): ديوان أبي الطيب المتنبي، صححه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار البيان، مصر، 1936م، ص59.

[62]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، (مج5)، ص10.

[63]- العباسي: معاهد التنصيص، (ج2)، ص115.

[64]- العلي: فن الترسل، ص125.

[65]- مردم بيك: ابن العميد، ص64.

وسأل ابن العميد الصاحب بن عباد بعد عودته من بغداد[66]: كيف وجدت بغداد؟ فقال الصاحب: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد (يقصد ابن العميد)[67]، وأحسن ما كتب ابن العميد رسائله في الأخوانيات لذلك كان يقال: لا يبعد أن يكون ابن العميد أو أجداده عرباً أقحاحاً وليس من المستحيل أن يكون غرام ابن العميد بالعربية موروثاً وتأصل فيه بالدرس، حيث يقول المتنبي في وصفه:

عَرَبِيٌّ لِسَانُـهُ فَلْسَـفِيٌّ رَأْيُهُ فَارِسِيَّـةٌ أَعْيَادُهُ

خلق الله أفصحَ الناسِ سَطراً في بلادِ أعرابهُ أكرادهُ[68]

كان ابن العميد يكثر الاستشهاد بكلام العرب ويستعين بمعانيهم، فيحل منظومها تارة ويقتبسها تارة أخرى كقوله من رسالة في شهر رمضان وردت في رسائل الإخوانيات: "كتابي جعلني الله فداك وأنا في كد وتعب منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ومرتهن بتضاعف حرور لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضا أتى أصحابه وهو منضج وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ويصرف وجه الحرباء عن التحذق ويزويه عن التبصر يقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق".[69]

وقال ابن الأثير عن ابن العميد: "اجتمع بأبي الفضل ابن العميد من محاسن الدنيا ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع وكان عالماً في عدة فنون منها الأدب فإنه كان من العلماء به، منها حفظ أشعار العرب، فإنه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله، فإنه كان ماهراً فيها مع سلامة اعتقاد إلى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق ولين عشرة مع أصحابه وجلسائه وشجاعة تامة ومعرفة بأمور الحرب والمحاصرات وبه تخرج عضد الدولة ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء". [70]

كان ابن العميد متفوقاً كثير الحفظ ذكياً حتى إنه كان في حديثه يحفظ ألف بيت من الشعر في يوم واحد[71]، وقد برع في الهندسة والمنطق وعلوم الفلسفة والطبيعة، وبلغ من اهتمامه بالعلم سعيه لاقتناء الكتب، إذ كان لديه خزانة كتب ضخمة زخرت بأمهات الكتب، وكان يعتني بها كثيراً، وأكبر دليل على اهتمامه بالكتب ما ذكر عندما أغار الجند الخراسانيون على الري ٣٥٥هـ/٩٦٥م وأشعلوا النار في منزله، خشي على خزانة كتبه لأنها كانت تحوي الكثير من

---

[66]- بغداد: أكبر مدن إقليم العراق، هي مدينة محدثة في الإسلام، حاضرة الخلافة العباسية، بنيت في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) سنة146هـ/ 827م، بنى حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه ثم عُمرت بالناس، وسماها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال له وادي السلام، وتقع بغداد في موقع جغرافي مهم جعل منها عقدة مواصلات طرقية، منها: الطريق الشمالي الذي يصل إلى الموصل ومن ثم إلى إقليم الجزيرة، والطريق إلى البصرة، وطريق إلى الكوفة ومنها إلى مكة، وطريق إلى بلاد فارس. انظر: الحموي: معجم البلدان، (ج1)، ص541-553. والنووي، محي الدين بن شرف (ت676هـ/1277م): تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، (ج1من القسم الثاني)، ص38-39.

[67]- العلي: فن الترسل، ص126.

[68]- المتنبي، أحمد بن الحسين (ت:354هـ/965م): ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1983م، ص527-531.

[69]- الثعالبي: يتيمة الدهر، (ج3)، ص190، مردم بيك: ابن العميد، ص50.

[70]- ابن الأثير: الكامل، (ج7)، ص320.

[71]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص315. العباسي، معاهد التنصيص، (ج2)، ص115.

كتب الحكم والآداب والتي لا تعوض[72]، حيث وصف مسكويه الحادثة وشدة تعلق ابن العميد بتلك الخزانة فقال: واشتغل قلبه بدفاتره ولم يكن شيء أعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كلّ علم وكلّ نوع من أنواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر[73] وزيادة. فلمّا رآني سألني عنها فقلت: "هي بحالها لم تمسّها يد"، فَسُرَّ بذلك وقال: "أشهد أنّك ميمون النقيبة، أمّا سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه الخزانة هي التي لا عوض منها"، ورأيته قد أسفر وجهه وقال: "باكر بها في غد إلى الموضع الفلاني"، ففعلت. وسلمت بأجمعها من بين جميع ماله.[74]

كما عرف عن ابن العميد اهتمامه بعلوم اليونان وترجمتها، فقد ذكر صاحب كتاب الفهرست: "أن أبا الفضل بن العميد أنفذ الى هاهنا في سنة نيف وأربعين كتباً منقطعة أصيبت بأصفهان في سور المدينة في صناديق وكانت باليونانية...، وكانت الكتب في نهاية نتن الرائحة حتى كأن الدباغة فارقتها عن قرب، فلما بقيت ببغداد حولاً جفت وتغيرت وزالت الرائحة عنها.[75]

اتهم ابن العميد بالتقصير في علم الدين، بالرغم من العلوم الكثيرة التي برع بها، فإذا تكلم أحد في الدين بحضرته قاطعه، ومن بين من اتهمه بذلك العباسي والثعالبي فقالا: "فإذا تكلم أحد في أمر الدين شق عليه وخنس ثم قطع على المتكلم فيه"[76]، غير أنه لا يمكن القبول بما اتهم به، نظراً لأن مرافقه وأمين مكتبته يشهد على علو معرفته بعلوم القرآن، حيث يقول مسكويه: "فأمّا تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الأمصار فكان منه في أرفع درجة وأعلى رتبة".[77]

يعد ابن العميد إمام مدرسة السجع في عصره ، ويرى البعض أن مذهب ابن العميد في الكتابة هو مزيج من أسلوب ابن المقفع[78] وأسلوب الجاحظ مع التوسع في الصناعة والميل إلى التكلف؛ وعدَّه آخرون أستاذ مذهب التجميل والتصنيع كما قيل عنه بأنه أقل التزاماً للمسجوع، وأقربهم إلى المطبوع وذلك إذا ما قورن بمن جاء بعده[79]، يتضح من رسائل

[72]- أركون: نزعة الأنسنة، ص159.

[73]- وقر: حمل دابة، وقد حدد عضد الدولة الخروار في دولة بني بويه ب10 أفتار، وكل فتر 12منا، وينتج من ذلك أن الوقر يساوي 100كغ تقريباً. انظر: هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، د.ط، 1970م، ص27-57.

[74]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص263.

[75]- ابن النديم، محمد بن اسحق(ت385هـ/995م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 335.

[76]- الثعالبي: يتيمة الدهر، (ج3)، ص190. العباسي، معاهد التنصيص، (ج2)، ص123. مردم بيك: ابن العميد، ص26.

[77]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص317.

[78]- اسمه بالفارسية روزبة، وهو عبد الله بن المقفع، ولما أسلم تكنى بأبي محمد، نشأ في العراق، وكان والده ينحل نحلة المجوس الفرس، تولى خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفي، لقب بالمقفع لأن الحجاج ضربه لأنه يأخذ الأموال فتفقعت يده أي تشنجت، أهم كتبه كليلة ودمنة الذي ترجمه عن الفارسية، واعتنى بترجمة كتب المنطق فترجم كتب أرسطوطاليس، والأرجح انه نقلها عن الفارسية كونه لا يعرف غيرها من اللغات. انظر: ابن المقفع، عبد الله (ت:142هـ/759م): رسائل البلغاء، جمعها: محمد كرد علي، دار الكتب العربية، مصر، 1913م، ص6-7.

[79]- العلي: فن الترسل، ص133.

ابن العميد إلى ابن بلكا [80]أن أسلوبه كان أسلوباً سهلاً في الكتابة واختار الجمل السلسة واضحة الألفاظ وربما السبب في ذلك سعة معرفته في الفلسفة والعلوم الكثيرة، ومن أشعاره التي تدل على سهولة الفاظه وسلاستها:

أَشكو إِلَيكَ زَماناً ظلَّ يعركني عَركَ الأديم وَمن يعدى عَلى الزَمنِ

وَصاحِباً كنتُ مَغبوطاً بِصُحبَتِهِ دَهراً فَغادَرَني فَرداً بِلا سَكَنِ

ألف ابن العميد كتباً كثيرة اندثرت معظمها واقتصرت أخبارها على ما ذكرته المصادر، ولكن بحالات نادرة، ومن أهم مؤلفاته:

1- ديوان رسائل: ذكره صاحب كتاب الفهرست وربما هو أهم آثاره فقد اشتهر برسائله وطريقته الخاصة بالإنشاء، وقد نوه مسكويه برسائله السياسية ورفعة شأنها، فقال: "فأمّا اضطلاعه بتدبير الممالك، وعمارة البلاد، واستغزار الأموال، فقد دلّت عليه رسائله، التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب أن يتلافى به حتى تعود إلى أحسن أحوالها، ومن تلك الرسائل يتعلم صناعة الوزارة وكيف تتلافى الممالك بعد تناهى فسادها، وما منعه من بسط العدل في ممالكه وعمارة ما يدبره منها".[81]

2- كتاب المذهب في البلاغة: ذكره صاحب كتاب الفهرست.[82]

3- كتاب الخلف والخلق: ذكره صاحب العباسي صاحب كتاب معاهد التنصيص وأنه لم يبيضه.[83]

4- ديوان في اللغة: ورد ذكر هذا الكتاب في خزانة الأدب للبغدادي، عرضاً في ترجمته للمتنبي وخبر زيارته لابن العميد، فقال: "وكان أبو الفضل ابن العميد يقرأ على المتنبي ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه"[84]، وربما كان اجتياح المغول لبلاد فارس والعراق سبباً في اندثار معظم رسائل ابن العميد التي لو بقيت لكانت بلغت مئات الصحف.

أما أبو الفتح بن أبو الفضل فلم يكن أقل شأناً من والده، وكان له نظم رائعة إلى جانب نثره، قصده الشعراء والكتاب من كل البلاد، وقال أحدهم في مدحه:

إنّ السريّ إذا سرى فبنفسهِ وابن السريّ إذا أسرى أسراهُما [85]

أما عن شعره في والده فقال:

[80]- ابن بلكا: كان ذكره الوحيد في الرسالة التي وجهها ابن العميد إليه، وذلك عندما أعلن تمرده على صديقه ركن الدولة، فأخذ ابن العميد يذكره بالأيام الخوالي التي أمضياها معاً، ويؤنبه بها، وينصحه بالعودة والاستسلام، ويخبره بأنه كله امل في العودة إلى سالف عهده، ورد عليه ابن بلكا بعد أن قرء رسالته وأعجب بكلامه فعاد إلى طاعة ركن الدولة. انظر: الثعالبي: يتيمة الدهر، (ج٣)، ص١٩٢-١٩٥.

[81]- مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص319.

[82]- ابن النديم: الفهرست، ص١٩٢.

[83]- العباسي: معاهد التنصيص، (ج2)، ص١٢٣.

[84]- مردم بيك: ابن العميد، ص31.

[85]- الثعالبي: يتيمة الدهر، (ج3)، ص٢١٥.

إليكَ هو أمْ شعرْ وبرقٌ هو أمْ ثَغْرُ
وحرُّ الصدرِ ما ضُمُنَتَ الحشاءُ أَمْ جَمْرُ
ويهماءُ كمثلِ البحرِ يرتاعُ لها السّفرُ

وعندما تقلد الوزارة أقام وليمة ومجلس غناء ورقص فقال:

دعوتُ الغنى ودعوتُ المنى فلما أجابا دعوتُ القدحْ
إذا بلغَ المرء آمالَهُ فليسَ لَهُ بعدها مقترحْ[86]

وكان من أكثر الأبيات التي ينشدها وهناك خلاف حول ما إذا كانت له:

سَكَنَ الدُّنْيَا أناسٌ قَبْلَنَا رَحَلّوا عَنْهَا وَخلّوها لَنَا
وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلوا وَنُخَلّيها لِقومٍ بَعْدَنَا [87]

هذه الأشعار السلسة السهلة الحفظ تدل على أنه كان شاعراً مرهفاً متقناً للشعر فقد سار على خطا والده في الشعر ومجالسة الشعراء إلا أن هذه الأشعار اندثرت ولم يبق منها إلا ما في بعض المصادر، وفي مدح هذه الأسرة قال أحد الشعراء:

آل العميدْ وآل برمكْ[88] مالكمْ قلَ المعينُ لكمْ وقلْ النّاصرُ
كانَ الزمانُ يحُبكَمْ فبدالهُ أنَّ الزمانَ هو المحبُّ الغادرُ[89]

- خاتمة:

بعد دراسة دور أسرة آل العميد في العصر البويهي يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

- إن أسرة آل العميد أسرة فارسية الأصل، لم يعرف لها نسب واضح إلا من أبيهم العميد، والذي ذكر اسمه، وعرّف لقبه عنه بأنه عالي المقام في قومه.
- إن أسرة آل العميد ارتبط ظهورهم باتصالهم المبكر مع الأسرة البويهية، حيث كان للعميد دوراً في ظهور هذه الأسرة وحكمها لبلاد فارس.

[86] - العباسي: المصدر السالف، (ج2)، ص١٢٨.
[87] - مسكويه: تجارب الأمم، (ج6)، ص319.
[88] - ابن النديم، محمد بن اسحق(ت385هـ/995م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 335.
[89] - الثعالبي: يتيمة الدهر، (ج3)، ص190. العباسي، معاهد التنصيص، (ج2)، ص123. مردم بيك: ابن العميد، ص26.

- لعبت هذه الأسرة دوراً سياسياً مميزاً، إذ يمكن أن يتبين دورين للوزراء من أسرة آل العميد، الأول: وكان فيه أبو الفضل ابن العميد وزيراً قوياً أسندت له العديد من المهام السياسية والعسكرية، والتي نجح إلى حد كبير في تحقيق جلّها، حيث احتل مكاناً مميزاً في صنع القرار السياسي في الدولة البويهية في الري.
- والثاني: وكان فيه أبو الفتح وزيراً قوياً، متمرساً على يد والده فنون السياسة والحرب، لكنه مال غلى حياة اللهو والعبث، مما أفقد آل العميد مكانتهم السياسية العالية في الدولة البويهية، وأدى إلى اندثار تلك الأسرة.
- تعرض آل العميد في عهد أبي الفتح لانتكاسة على يد الأمير عضد الدولة، بسبب سياسة أبي الفتح القائمة على الوقوف إلى جانب مناوئي عضد الدولة ممثلة بعز الدولة بختيار، وهذا ما قاد إلى انتقام عضد الدولة منه، والقضاء على أسرة آل العميد.
- إن النشاط الثقافي لأسرة آل العميد لم يقل أهميةً عن النشاط السياسي والعسكري، إذ كانوا أدباء وعلماء، منحوا جزءاً من وقتهم للحياة الادبية والفكرية في المجتمع البويهي، وصنفوا الكثير من المؤلفات العلمية والأدبية.

Sources and references

First: Arabic sources:

1- Ibn al-Atheer, Ali bin Muhammad (d. 630AH/1232AD): al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Abi al-Fida Abdullah al-Qadi,Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut ,Lebanon, 1, 1987AD.

2- Ibn Hawqal, Abi al-Qasim (T: 367 AH/977 AD): Image of the Earth, Al-Hayat Library House, Beirut, 1992 AD.

3- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman (T.: 808AH/1406AD): The History of Ibn Khaldun, edited by: Suhail Zakkar, Dar al-Fikr, Beirut, d.T, d.T.

4- Ibn Khalkan, Ahmed bin Muhammad (T.: 681 AH / 1282 AD): The deaths of notables and the news of the sons of time, edited by: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, Dr. T,1977 AD.

5- Ibn Tabataba, Muhammad bin Ali (T.: 709AH/1309AD): Honorary in Royal Ethics and Islamic Countries, Dar Sader, Beirut, d.T, d.T.

6- Ibn Katheer, Ismail bin Omar (T.: 774 AH / 1372 AD): The Beginning and the End, edited by: Judeh Muhammad Judeh and Muhammad Hussein Shaarani, Dar Ibn al-Haytham, Cairo, I 1,2006 AD.

7- Ibn al-Muqaffa', Abdullah (T.: 142 AH / 759 AD): The Letters of the Balagha', compiled by: Muhammad Kurd Ali, Dar al-Kutub al-Arabiya, Egypt, 1913 AD.

8- Ibn Al-Nadim, Muhammad bin Ishaq (T.: 385AH/995): Al-Fihrist, Dar Al-Maarifa, Beirut, d.T., d.T.

9- Al-Atabki, Yusuf bin Taghri Barada (T.: 874 AH / 1469 AD): The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo, Ministry of Culture and Guidance, Cairo, d.T,d.T.

10- Al-Bayhaqi, Muhammad ibn al-Husayn (T.: 470 AH/1077 AD): History of al-Bayhaqi, narrator: Yahya al-Khashab Sadiq Nashat, Modern Printing House,Cairo,1999.

11- Al-Tawhidi, Ali bin Muhammad (died: 400 AH/1009 AD): The ethics of the two ministers, edited by: Muhammad bin Tawit Al-Tanji, Dar Sader, Beirut, 1991 AD.

12- Al-Thalabi, Abd al-Malik al-Nisabouri (T.: 429 AH/1037AD): The orphan of time in the virtues of the people of the age, edited by: Mufid Qumeiha, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1, 1983 AD.

13- Al-Jahiz, Amr bin Bahr (d.: 255 AH/868 AD): Animal, edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Mustafa al-Babi Press, Egypt, 2nd edition, d.T.

14- Al-Hussaini, Ali bin Nasser bin Ali (T.: 622 AH / 1225 AD): News of the Seljuk State, took care of its correction: Muhammad Iqbal, Punjab College Publications, Lahore, D. T,1933 AD

15- Al-Hamawi, Yaqout bin Abdullah (T.: 626AH/1229AD): Dictionary of Countries, Dar Sader. Beirut, 1977.

16- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed bin Othman (T.: 748 AH/1347 AD): The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Flags, edited by: Bashar Awad Maarouf, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1, 2003 AD.

17- Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed bin Othman (T.: 748 AH/1347 AD): The Life of the Nobles' Flags, edited by: Hassan Abdel Mannan, International Ideas House, Lebanon, d.T, d.T.

18- Al-Suyuti, Abdul Rahman (T: 911 AH / 1505 AD): The History of the Caliphs, Dar Ibn Hazm for Printing and Publishing, Beirut, 1, 2003 AD.

19- Al-Abbasi, Abdul Rahim bin Ahmed (T.: 963 AH / 1556 AD): The quotation institutes on the evidence of summarization, edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, the world of books, Beirut, d.T.
20- Al-Akbari, Abu Al-Baqa (T.: 616AH/1219AD): Diwan of Abu Al-Tayyib Al-Mutanabbi, corrected by: Mustafa Al-Sakka, Ibrahim Al-Abyari and Abdel Hafeez Shalabi, Dar Al-Bayan, Egypt, 1936AD.
21- Al-Safadi, Khalil bin Aybak (T: 764AH/1363AD): Al-Wafi with Deaths, edited by: Ahmed Arnaout, Turki Mustafa, Arab Heritage Revival House, Beirut, first edition.
22- Miskawayh, Ahmad bin Muhammad (T.: 421AH/1030AD): The Experiences of Nations and the Succession of Determination, edited by: Abu al-Qasim Emami, Dar Soroush, Tehran, 1968 AD.
23- Al-Maqdisi, Muhammad bin Ahmad, known as Al-Bishari (T.: 380AH/990AD): The best divisions in the knowledge of the regions, Dar Sader, Beirut, d.T., d.T.
24- Al-Nawawi, Muhyi al-Din bin Sharaf (T.: 676AH/1277AD): Refinement of Names and Languages, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, d.
Second: Arabic references:
1- Arslan, Shakib: The Chosen Ones from Abi Ishaq Ibrahim bin Hilal bin Zahroun Al-Sabe', Al-Dar Al-Taqdimiyyah, Al-Shouf, 1, 2010 AD.
2- Arkoun (Muhammad), Humanism in Arab Thought, T:Hashem Saleh, Dar Al-Saqi, Beirut, Lebanon, first edition, 1997.
3- Al-Khudari, Muhammad Bey: Lecture son the History of the Islamic Nations of the Abbasid State, Dar Al-Qalam, Beirut, 1, 1986 AD.
4- Al-Douri, Abdul-Aziz: Studies in the Late Abbasid Periods, AlRabita Company, Baghdad, 1945 AD.
5- Al-Zarkali, Khair Al-Din: Al-Alam, House of Science for Millions, Beirut, Lebanon, seven the dition, 1986 AD.
6- Al-Zahrani, Muhammad Misfir: The System of the Ministry in the Abbasid State (Al-Buwaihiand Seljuk Covenants 334-590 AH), Al-Resala Foundation, Beirut,1,1980 AD.
7- Shalaby, Ahmed: Encyclopedia of Islamic History and Islamic Civilization (Abbasid Caliphate with special attention to the first Abbasid era), Egyptian Renaissance Library, Cairo,(C3),8th edition,1985 AD.
8- Taqosh, Muhammad Suhail: The Abbasid State, Dar Al-Nafais, Beirut, seventhedition, 2009.
9- Al-Ali,Faisal Hussein Tahimer: The Art of Transmission according to Abdal-Hamidal-KatibandIbnal-Ameed,Nablus,Palestine,2001 AD.
10- Ali, Wafaa Muhammad: The Abbasid Caliphate in the Era of the Buyids Domination, Modern University Office, Alexandria, 1991 AD.
11- Ki, Lestrange, Countries of the Eastern Caliphate: Tar, Bashir Francis, Corgis Awad, TheIraqi Scientific Academy, Baghdad, 1954 AD.
12- Mardam Bey, Khalil: Ibn al-Amid, Arafa Library, Damascus,1931 AD.
13- Mneimneh, Hassan: The History of the Buyid State, Political, Economic, Social and Cultural–Fars Province, University House, 1987 AD.
14- Hunts, Walter: Islamic Weights and Measures, see: Kamel Al-Asali, University of Jordan Publications, Amman, Dr. I,1970 AD.